استجابة العربية للتحديات المعاصرة

دراسة في النول والنسيج

د. مالك المطلبي ـ العراق ـ

أحاول في هذا البحث، أن أعرض لأمر أظنه جديداً نسبياً، فيما يتعلق بـ«قدرة» العربية في استيعاب التحديات المعاصرة. غير أنني أشير، بادىء ذي بدء، إلى أن هذا «العنوان» ينطوي، فيما ينطوي عليه، على فرض النتائج قبل المقدمات، كما يوحي إذ هو يفرض «عبقرية» في ذات العربية، أو «قوة» جاهزة لأن تكون فعلاً: في كل زمان ومكان.

وهذا أمر ليس من «العلم» في شيء، والأقوال التي أشادت بـ«اللغة العربية» عن علم وعن غير علم، ينبغي أن نتوجه إلى الاشادة بما أنتج بهذه اللغة: من «أدب» وما أنتج بها من مؤلفات وتصانيف ورسائل، وشروح وتلخيصات. الخ. وما نقل بها، من آداب الأمم وعلومها. بل إن هذه النقطة، ليست بذات أهمية إذا وضعت بإزاء النقطة الثانية، وهي: النص الإلهي: «القرآن الكريم» بلغة العرب. هذا أمر جعل العربية مشرَّفة بكلام الله تعالى: بها تُتلى الرسائل بين العبد وربه، وبين الانسان وأخيه: وبها تكتب: وبها يصبح للمدلول: طعم الدال: حتى تصير المسميات «العربية» أشياء: وكما نقيم مع (الأشياء) روابط من الألفة والود والأخوة، بالفكر والحس، ننتقل الى (الدوال)، فنخلع عليها شعورنا وتتزحزح «الاعتباطية»[1] بين الدال والمدلول: في تحليلنا المفهومي وتحل محلها «الوشيجة» في إحساسنا الآني، ويصبحان كأنهما شيء واحد.

فإذا قرأنا القرآن، لم نعد نحس بأن الألفاظ تشير الى خارج عن نفسها: بل تكون بذاتها، في اللحظة نفسها مشيراً إليه حتى يغدو اللفظ قدسياً، وها هنا ملحظ دقيق، يدركه من أوتي نعمة الهداية، والابصار الداخلي، ولا يدركه من نذر نفسيه للعلم الخالص، على هذا النحو شق الفكر العربي الاسلامي طريقه الى كتاب الله، لا على أساس أنه «لغة» بل على أساس أنه «لغة خاصة» ولا على أساس أنه مضمون، بل على أساس أنه «تكييف مضمون» وتعبر المصنفات التي أنتجت على ضفاف القرآن[2] عن ذلك خير تعبير: إن المعجزة في القرآن، وليس في اللغة العربية: يقول الأستاذ المستشرق نيكلسون: القرآن في العقيدة المحمدية كلمة الله المقدسة. وهو لذلك، نوع قائم بذاته، من غير الممكن أن يُحاكى..[3].

إن مبدأ «اللامحاكاة» خاص بالقرآن وليس باللغة» بوصفها متحققاً في كلام يحاكى. وإذا كان الشعر لغة في لغة: هي الكلام العادي: ولغة القرآن هي أيضاً لغة في لغة: هي اللغة العربية: فإن الفرق بين لغتي الشعر والقرآن: يكمن في أن لغة الشعر تمكن «إعادتها» على الدوام: أو يمكن استدعاؤها من معينها (الذي لا ينضب) لتقيم أبنية أفضل، من غيرها، وأفضل منها غيرها في آن، أما لغة القرآن: فلا تمكن إعادتها لأنها خارج لغة الإنسان..[4] وهكذا صارت اللغة من الدين[5] وليس العكس. وهي مكرمة به لأنها منه.

فما نريد أن نصل إليه أن اللغة، أية لغة، هي «نظام» من العلامات. تبني وتشير على وفق قوانين كلية ولا «قانون» أفضل من «قانون» ولا قانون أجمل من قانون.. وأن قيمة القانون تكمن في وجوده وعدمه. ووجود القانون «حاجة» والحاجات مختلفة وليست متفاضلة تشير اللغة الانكليزية الى «غير العاقل» بالضمير (It) والى العاقل بـ (He) و(She) على حسب الجنس... الخ.. فهذا التفريق بين «العاقل» و«غير العاقل» لا نجده في اللغة العربية.. فليس معنى هذا أن الانكليزية أفضل من العربية في دلالات ضمائرها: لأن المتكلم بالعربية، في ضوء الاستعمال ـ أي في ضوء الحاجة ـ لا يجد لبساً في هذا الجانب، أو بعبارة أخرى: لا ينوء تحت ضغط الالتباس بين مدلولات الضمائر. أو هي قضية لا تشغل ذهن «المتكلم» بالعربية، لأنها لا تسبب له خلطاً. ونجد أنَّ قوانين النظام تتجه الى سد ما يمكن النظر إليه بـ«مشكل» أحادية الدال، وتعدد المدلولات، أو يتمثل ذلك في إجراء لغوي داخلي: مستند الى حقيقة بسيطة: وهي أن «الضمائر» عناصر مفتقرة لِتُعرَّف، إلى غيرها. فالضمير «نكرة» حتى يتعين أو هو ما يعبر عن «عموم الحاضر أو الغائب» دون دلالة على خصوص الغائب أو الحاضر..[6].

ومن هنا تصبح جملتا (Itis awall هو جدار) متساويتين من حيث أنهما: ينطويان على «تنظيم» يسد الحاجة: بل إننا إذا نظرنا من (زاوية) تشاكل القوانين الطبيعية، بوصف اللغة ظاهرة (طبيعية) وجدنا اللغة العربية في هذا الجانب، تفضل الانكليزية، أي أنها تنظر الى عناصر العالم بوصفه «وحدة بايولوجية واحدة» فالعربية أكثر أخلاقية من الانكليزية..[7] بكونها تلغي (طبقية) مخلوقات الطبيعة وتنهى استعباد

الإنسان للآخرَيْن (الحيوان والنبات) من خلال فصل (كيانه) عنهما (وتطوير) هذا الفصل، وتجعل بدلاً منه، الانسان والحيوان والنبات، في مستوى واحد: كائناً واحداً يشار إليه بإشارة واحدة فتقول:

هو رجل
هو فيل
هو قمح
وهي امرأة
هي شجرة
هي قطة

لكن هذا أمر آخر. يلاحظ خارج علم اللغة، بل إننا إذا أردنا أن ننقب أرض التفاضل بين اللغات سلكنا في أنفاق، تدور على نفسها ومثال ذلك ما يشمل عليه تنظيم اللغة الانكليزية من توحيد بين المخاطبين: عدداً وجنساً: فيستعمل (You) للواحد والاثنين والجمع. للذكر والأنثى، ويوجد بين المتكلمين جنساً: فيقول My friend والعربية تفرق ها هنا تفريقاً دقيقاً فتقول «أنت وأنت وأنتما وأنتن وأنتم وصديقي وصديقتي». فوصف لغة بالقدرة وبالعبقرية بذاتها ليس إلا ضرباً من الخيال الشاطح. والحق أن العبقرية تتجلى بما ينتج بهذه اللغة: فكلما اتسع النتاج: صارت اللغة توسطاً حياً إلى الأفكار. ثم تصبح «عادة» لهذه الأفكار: أو كما يعبر بعض الباحثين: اللغة فكر قبل الشفتين، والفكر لغة بعد الشفتين. ثم إن اتساع النتاج، أو بعبارة أدق تولد أبنية الأدب والبحث، لا بد أن يكوّن (ثقلاً) ما على قاعدته التي تحمله، وهي اللغة، فينشأ بسبب من هذا الضغط، تحرك في الأجزاء، يتبعه تغير في العلاقات تنتهي إلى: أن تقوم البنى اللغوية الثابتة (النحوية والصرفية والصوتية) بإجراءات داخلية في قوانينها أي بحركة تمدد لتستوعب المضاف، ولكن ذلك لا يحدث إلا بعد حقب طويلة، ويكون بحد ذاته نمواً طبيعياً يرافق نمو الانسان وتحولات المجتمع: فكأنه نمو مستقر يراوح في مكانه، حتى تبدو البنية اللغوية والصور الذهنية التي تنتجها والأفكار التي تتحقق بها، تمضي في تناغم دقيق. إن التواصل في هذه المعادلة هو «فعل اللغة» والانتاج هو قوّتها والعكس صحيح. إن البنية اللغوية تنكمش على نفسها، إذا لم تزود بغذائها وهذا الانكماش (أو عدم الاستعمال) يجعلها بنية (صغيرة) ولكن خلال حقب من السنين: تنتهي الى الضمور لتبقى من حصة علم التاريخ. وعلم الآثار لغات بائدة، يفيد منها البحث اللغوي (المقارن).

وإذا وصلنا الى هذا الحد الذي لا ينبغي فيه أن نحكم على أمة بالفصائل النحوية الموجودة في لغتها..[٨] انتهينا إلى أن «العربية شأنها شأن اللغات الحية الأخرى: قادرة على الاستجابة فالبحث: ينبغي أن يتجه الى الكشف عن (كيفية) الاستجابة و(ماهية) التحدي: وهذا هو ما سيكون عليه الهدف الرئيس من هذا المقال، وطمعاً بالايجاز نقول: إن الاستجابة تعني قدرة (العربية) بوصفها نظاماً «مستهلكاً»، على (استيعاب) ما تنتجه أبنية لغة أخرى، بوصفها نظاماً مصدراً ونعني بالاستيعاب هنا محافظة العربية على قوانينها النوعية في لحظة تمثلها «الوافد» لأن شرط الاستيعاب الحفاظ على قانون «النوع اللغوي»[٩].

فإذا مس «القانون» تخلخل تغيرت مواقع العناصر واضطربت «العلاقات» واتجهت «البنية» الى إجراء ما: على نحو تحافظ فيه على «وجودها» فتسد أجزاء التخلخل ولكن على (حساب) بنيتها المحددة التي اكتسبت من خلال استنطاقها الدائم عرفها: أي أنها تحاول أن تسد الجزء المهدم فيها بجزء نقلته اليها بنية اللغة المهاجمة: ولهذا إنْ قبلنا بهذا المبدأ، انتهينا الى أن يحل النوع الانكليزي مثلاً، محل النوع العربي. فتفقد «العربية» كونها لغة!

البؤرة والأطراف

أول ما يفرض علينا منهج هذا البحث في التحدي (الحافز) والاستجابة هو تحليل المنظومة اللغوية الى عناصرها الرئيسة للوقوف على بؤرة التحدي، أي الوصول الى «مركز» هذا التحدي أي قوته.

ولما كانت اللغة بحساب عناصرها أربعة:

«الأصوات والكلمات والقوالب والتراكيب»؟[١٠]: أمكننا أن نلاحظ بادىء ذي بدء، أن بؤرة التحدي تمتد بين «الكلمات» و«القوالب» لكن بؤرة الكلمات تظهر «كمية» التحدي ولا تعكس خطورته. ومعنى ذلك أن «مشكل» انهمار «الكلمات» في اللغة العربية، لا يسبب قلقاً، إذ هو لا يمس قوانين «موقعية» العناصر أو علاقاتها، بل يرتبط بتغير «نوع» العناصر: أي أنه بعبارة فيزيائية: يزيح كمية ويحل محلها كمية مساوية لها، إن مشكل الكلمات لا يسبب، إذن، قلقاً للبنية بل يسبب قلقاً للعناصر[١١] ولما كانت الكلمات اللغوية من الكثرة بحيث تبقى مهيمنة على بضع المئات من الكلمات الوافدة، كان ذلك أمراً يعكس خطراً في السطح، لا خطراً في العمق. غير أن «بؤرة» التحدي تكون خطرة حيث تتحول الكلمة، من كونها تعبيراً عن معنى «واحد» أعني معنى محدداً بذاتها الى تعبيرها عن معنى الجمع، أي حين تتحول «الكلمة» الى «مصطلح». لأن «المصطلح» يتعلق بالثقافة، في حين تتعلق الكلمة بـ«الطبيعة». المصطلح: يختزن ويراكم معانيه، بحسب بيئته وحياته، والكلمة قشرة، تفرغ معناها وتملؤه: لتكون على أهبة الاستعداد للتداول، الكلمة ذات دلالة مباشرة، والمصطلح ذو دلالة «مبطّنة»: لكن «الكلمة» التي هي على نحو ما «أصغر صيغة حرة»[١٢] تمنح شكلها، أو هيكلها: فمثال الأول:

كلمة «الفعل» act: تصير مصطلحاً «لغوياً»: وتصنّف في الكلمات ذات النشاط active words: وتصير مصطلحاً مسرحياً «دراميا»: action ومثال الثاني وضع كلمة Television وترجمتها «الرؤية البعيدة» في قالب «الآلة» نقول تلفاز (منشار): «مفعال» ونشتق من بنائها «أي نخضعها للنمو الداخلي» فعلها الرباعي: تلفز: يتلفز وبناء «صيغة فاعل»: متلفز: وهكذا تتحول الكلمة من تكتيكات الاستعمال اليومي الى ستراتيجيات الثقافة: لتصير «مصطلحاً». كما تتحول كلمة «أشكل» في «أشكل الأمر إذا التبس»[١٣] الى مصطلح «المشكل»: ويتحول مصدرها وهو «الاشكال» الى «الاشكالية» على أن «المصطلح» يبقى «حاملاً» للكلمة، على نحو أو آخر، أو هو يحمل «تذكاراً» منها.

ولا مشكل في المصطلحات الناشئة على وفق نوع اللغة نفسها: فهي تتكون تكوناً «طبيعياً» يتناغم وظاهرة اللغة: بوصفها جزءاً من الطبيعة، أي بوصفها جزءاً منا وليس جزءاً معطى لنا. المشكل في

المصطلحات، التي تتكون تكوناً صناعياً، بسبب من حكم الضرورة القصوى، إذ لا نستطيع أن نعزل أنفسنا، في كون أصبح فنجان شاي، كما يقول أهل الاذاعة[١٤] كون محكوم عليه بالاتصال: ومجهز بوسائل اتصال، جعلت من «المسافة» و «الزمن» دعابة يدعب بها أهل الأرض.

المشكل، إذن، في تصنيع المصطلحات، ونظرة عجلى عليه: ترينا أنه اتخذ ثلاثة مسارات رئيسية:

الأول: الترجمة:

أي إيجاد مقابل لغوي دلالي: كترجمة مصطلح Lower teeth بـ الأسنان السفلى: وهي، اصطلاحاً «نقطة نطق» تشارك في نطق بعض الأصوات «دون»[١٥] أن تغير موقعها: مثلها في ذلك، مثل الأسنان العليا، والشفة العليا»[١٦] وترجمة Phoneme بـ«وحدة صوتية مميزة»[١٧] أو «صوت مجرّد»[١٨].

الثاني: التعريب:

أي منح الدلالة والأصوات بنية عربية: كمصطلح Dynamik: ديناميكي أما ترجمته فـ «حركي»[١٩].

وقل مثل ذلك في Dramatic دراماتيكي: وهو فعل دراماتيكي . . الخ. ولكن لاحظ أن «التعريب يشدد الوطأة على بنية القالب: لقد فرض استيطاناً محدداً في قالب مسمى الاسم الصناعي «المصدر الصناعي»: ومنه: وثب المترجمون خاصة والكتّاب عامة الى استخدامه في أحوال عربية صرفة:

من نصوص الترجمة:

«أجيبك على المستوى الشخصي، لقد صرت ناقداً مسرحياً، وقد قام العديد من النقاد بالإخراج المسرحي:

فهو عمل إبداعي مضن ـ إن النقاد المسرحيين . إن دور الناقد المسرحي[٢٠].

من نصوص الإنشاء

«وهو بصدد الدرس التحليلي النصي. . . التي تقتصر على الدراسة النصية. . . فالممارسة النصية. . . وعلائق نحوية وعلاقات تشكيلية. . . الخ»[٢١].

وهو بهذا يقرض نسيج القالب العربي، الذي ينزع الى الاضافة وليس الى الوصف: في قوله تعالى: ﴿فقالوا ربنا رب السموات والأرض﴾[٢٢] تكتب في ضوء النزوع نحو «الوصفية» الله هو الرب السماوي والأرضي ونحس بهذا حين نقارن بين لغة «القرآن» الكريم ولغة «الإنجيل» ويترجم مصطلح كـ Pathology بالعلم المرضي في نسيج الوصف وعلم الأمراض في نسيج الأضافة.

الثالث: ما أسميه «الاستنساح»:

وهو نقل الكلمات، والمصطلحات كما هي في بنائها ومعانيها ودلالاتها: ويتوسط، المقيمون في الخارج عامة، والأطباء والعاملون في حقول التقنية والعلوم، وأرباب الحرف المرتبطة بالمنشأ «كعمال صناعة السيارات» يتوسطون بين « الشيء» وعلامته اللغوية كما هي: أي كما يقدمون لنا: الآلة، يقدمون لنا اسمها.

إن هذه «المواد» اللغوية التي تستوطن جسد اللغة المنقول إليها، تنقل آثارها الصوتية والبنائية، الى نظام العمل اللغوي في بنيته الصوتية، والصرفية.

أي أنها تبدأ بالاحتكاك بـ«المولدات» أو بمجموعة قوانين النظام المحدودة: أي أن «المشكل» الذي لم يكن يسبب قلقاً للعناصر «الكثيرة» أصبح الآن يعبر عن مرحلة جديدة: هي محاولة تقويض النوع اللغوي بتدمير أبنيته.

وقد اتخذ هذا التقويض مساره، أول الأمر، في البنية الصرفية، بكونها «أبنية في حال انفراد» ثم انتقل الى مركز العمل في اللغة العربية: أعني «بنيتها النحوية» حيث المولد الرئيس، وعلى النحو الآتي:

إقامة أبنية تنتمي الى نوع اللغة الناقلة من مثل:

نظرية (Theory)، لغوية (Linguistic)، عامة (General)[٢٣]، وأبجدية يدوية (Manual alphabet)[٢٤]. . وقد عملت هذه «الأبنية الوصفية» على خلق ما أسميه «سلسلة التتابع بالاضافة» في تركيب العربية: مزيحة في طريقها «سلسلة الاسناد المركزية» التي تتميز بها العربية: حيث «الفعل» هو «نول» النسيج: حتى كأن العربية من «اللغات الفعلية» كما يتضح في المثال الآتي: «ويتحمل مؤلف هذا الكتاب، مع ذلك، مسؤولية كاملة في عرضه المختصر المبسط للغاية، في الواقع، للنظرية اللغوية التي تختلف عن نظرية هاليدي لا سيما في معالجتها لمسألة المستويات[٢٥] ونجد:

هذه السلسلة: (سلسلة الاضافة) تتفشى في لغة الاعلام تفشياً يومياً مخيفاً.

«إن استمرار الاستعمار تحت كافة أشكاله وبكل مظاهره، يعتبر جريمة تمثل خرقاً لميثاق الأمم المتحدة وللاعلان الخاص بمنح الاستقلال للبلدان والشعوب المستعمرة ومبادىء القانون الدولي»[٢٦].

وأزعم أن هذا أثر من آثار الأبنية المنقولة:
إن المترجم، حين يكون «أبنية الوصف». . .
من مثل «كي يكونا المكافىء الترجمي[٢٧]. . .

ومن مثل:
وجميعها تنادي بالحرية. . .[٢٨].

يستدعي هذا البناء المهيمن: شرحاً له: أو يحتاج الى نسبة بالحرف فيقول: «كي يكونا المكافىء الترجمي أو جميعها تنادي بالحرية لـ. . . بدلاً من أن يقول: «كي يكونا مكافىء الترجمة. .

و«تنادي بحرية الانسان. . . وتقود كثرة استعمال النسب المجرورة (بحكم كثافة الاستعمال) الى خلق الأنساق المتتابعة بالاضافة، على حساب أنساق الأسناد:

«مناقشة الأقسام الأساسية للغويات»[٢٩].

«بالنسبة للنظرية اللغوية»، وهكذا نبدو أمام مفارقة: فنسيج

الاضافة الذي عاش بكونه «عبارة» Fraze «فضلة» أو «شبه جملة» على اصطلاح النحاة العرب: بجوار مركز الجملة في اللغة العربية: أعني الاسناد. . . هذا النسيج يتمدد الآن: ويغطي الجملة من أقصاها الى أقصاها في أغلب الأحيان: إنه بعبارة أخرى: يسلب بضعة من نوعها، ويحل محلها بضعة من نوع آخر: وتلك هي بداية الطريق في تقويض ما نسميه «النوع اللغوي» وإذا كان «المشكل» آنف الذكر، متعلقاً بالتركيب، فإنه، كما لاحظنا، أثر من آثار الأبنية المنقولة: وأثر من آثار الاستعمال الذي يصدر عن «نوع» واحد. فنصل الى أن استيعاب العربية للتحدي اللغوي المعاصر: قد تأثر الى حد كبير، بما يسمونه: سياسة الباب المفتوح، أو الاجتهاد المتعدد بعبارة أخرى، صار (جيش) من المتكلمين بالكتابة. (المترجمين) ومن تابعهم من المؤلفين هو الذي يحرك «النول» ويصوغ النسيج الذي يريد: وهذا هو الذي يفسر ما سمي بـ«تعددية المصطلح» و«تعددية التراكيب» في مستوى واحد: فنحن الآن نواجه عدة مستويات في اللغة العربية الفصيحة. وسوف تنتهي هذه التعددية آجلاً إلى استقلال أعدادها. فالفرع اللغوي: يصبح نوعاً كلما تقدم الزمن. أي أن التجزئة اللغوية ستتجاوز تعدد اللهجات وانقسام الكلام Speach والكتابة Wrinting الى انشطار في عربية الكتابة نفسها. ويعني خلق (بؤرة) تحد أخرى تصب في المجرى العام: الذي يسير الى إحلال «نوع» لغوي محل نوع آخر. .

ونعود الى الموضوع، فنقول: إن تغيير «النوع» أو بؤرة التحدي تبدأ من الأبنية الصرفية. وأهم ركيزة فيها «المصطلح المعرّب» ولا أريد في هذا المقام أن أعيد ما انتهى اليه علماء لغتنا المعاصرون: في حل ناجع لـ«مشكل» المصطلح: ولكنني منوه بـ«منحى» جديد من مناحي الاعارة من الأبنية الأخرى: لا يتعلق بالترجمة والتعريب والاستنساخ وحسب، بل يتجاوزها الى المزاوجة بين بناء نوع أجنبي عن العربية، وأصوات عربية: فينشأ من ذلك، عنصر لغوي هجين، فإذا واجهنا مصطلحاً كالـ Episteme: فإما أن نترجمه بـ وحدة المعرفة أو نعرّبه بـ الأبستيمي أو نستنسخه: أبستيم.

أما الخطوة الجديدة: فتزاوج بين البنية الأصلية للأبستيم: مستعيرة لها أصواتاً عربية: فيصير لدينا (معرفيم) وقل مثل ذلك في (صوتيم)[٣٠] و(حرفيم). . الخ وغيرهما: إن هذا يعني انقطاعاً بين ابن اللغة وبين دلالات الأبنية أعني معانيها الوظيفية الصرفية: وتحول القالب العربي الى قالب لصقي وليس الى قالب اشتقاقي، قالب يتغذى على اللصق (من خلال السوابق واللواحق) بعد أن كان يتغذى من داخله.

والآن أنتقل الى الهدف الرئيس في هذا البحث: وهو التحدي والاستجابة في التركيب: الذي كان المظهر المعبر عن اختفاء (ابن سليقة) العربية أي اختفاء المتكلم بها: وظهور ما أسميه الكاتب بها. ولست بصدد مناقشة (عوامل) هذا الاختفاء فهذا له مقام آخر.

أقول إن «مشكل» تحدي التركيب العربي، وهذا افتراض أولي، لم يكن قائماً في زمن العربية الفصيحة الموحدة، التي انطوى على قسم من نظامها كتاب الله العزيز: ولكن حين بدأ هذا المشكل يلوح في الأفق: سارع النحاة الى وضع «ضوابط» صارمة، ساعين من خلالها الى بناء حواجز في وجه: تخريب التركيب، ولكنهم ركزوا جهدهم في الدلالات الوظيفية وكلما تصاعد البحث اللغوي العربي في الزمان ضاق نطاقه[٣١]، حتى صارت «الحركة» مظهر الدلالات الوظيفية النحوية. أسّ بنائه ومركز عمله، ثم انحرف البحث الى ذات الحركة، باعتبارها «لغزاً». وصار مصطلح «اللحن» يعني شيوع الأخطاء في آخر سلسلة الكلام: «والمسألة الزنبورية» من غير أن نخوض في تفاصيلها[٣٢] هي أول نذر هذا الانحراف الذي أوغل في «معيارية» منبثقة من عقل النحوي، لا من وقائع النص. وهكذا انكفأ المنهج اللغوي، الى تدبر ذاته خارج اللغة. وقد أدى ذلك، أعني انحراف المنهج، وكثافة الاختلاط، وتداخل اللغات: وتحطيم نظام الاتصال السابق (الذي كان ينهض على مهلة) أو فاصلة زمانية مكانية، يتم خلالها تأمل «القادم» وتحطيم نوعه (بحلول وسائل اتصال جديدة) أدى ذلك كله الى هجوم الأفكار ونسيجها أعني: اللغات الهاجة. وأخذ ما أسميه «غزو التراكيب» يشق طريقه الى سطح البنية النحوية العربية، ويقرض نسيجها، ليتسرب في أعماقها، منتقلاً الى «دماغ» المتكلم، مركز قوانين النوع اللغوي[٣٣] ولما كان هذا المتكلم Speaker قد تحول الى كاتب Writer (اللسان العربي صامت. . نحن نفكر ونحلم ونتصل بالعامية التي تستقل بقوانينها النحوية والصرفية والصوتية عن العربية الفصيحة وإن كان لها اتكاء ما عليها) أخذ هذا الغزو، يكون بؤرته في وسط «كتابي» وكان أهم جزء في هذا الوسط: كتب المترجمين: وكتابات الصحفيين (التي تتكون من خليط من الترجمة والعامية) ولما كان «مشكل المصطلح» هو المشكل السائد (حاجة مراكز التعليم والمؤسسات والتخطيط إلى المصطلح، أكثر من حاجتها الى الكلام) أصبح الطريق مفتوحاً على مصراعيه لنفوذ «تراكيب» النوع الاخر: التي تنتج في صيرورتها في التراكيب العربية: نموذجاً مشوهاً: هو جزء من «نوع آخر» بلباس آخر. يطلق د. ابراهيم السامرائي على هذا النموذج «التركيب العقيم» ويسوق له المثال الآتي:

أول أحسن المسائل[٣٤] One of the best question

إن اللغة التي هي في واقعها المتحقق كلام Speach. أو سلسلة من التراكيب: تلزم علمها ومناهجها أن يرى في البنية النحوية للنوع اللغوي: مركز العمل فيها. وأن هذه البنية التي تنطوي على قوانين في الوظائف والعلاقات: ومودعة في فطرة ابن اللغة أو في دماغه: هي قوانين ثابتة نسبياً. وهذا سر أننا نقرأ نصاً «قديماً» (بيننا وبينه أكثر من الف سنة) ولا نحتاج إلا إلى تزويدنا ببطاقات تتضمن معاني «العناصر» وإحالات على سياق تاريخي: أما العلاقات اللغوية والوظائف النحوية فنتلمسها، من غير شرح. . لكن الأمر يتغير الآن: إذ أخذ الضعف يطول إحساسنا بالبنية النحوية للعربية: ومن ذلك أننا لا نستطيع تمثل قوانين «الترابط» في النحو العربي بلاوعينا أو بوعينا: وبسبب من غزو التراكيب: أخذ التفكك يحل محل الترابط وبعبارة أخرى: سُمِحَ لمرور نظام بنية نوع في النوع العربي لوجود مناطق فراغ فيه ومن ذلك أن نظام الرتبة Order (الذي تعد العربية فيه، من اللغات الحرة نسبياً) أخذ يفقد صلته بقوانينه. فالصدارة. . . هي الفارق الوحيد في الرتبة بين الأداة والظرف. لأن الظرف يتقدم على مدخوله نحو «أزورك متى أهل رمضان». ولكن هذا الظرف، إذا تعدد معناه الوظيفي فأصبح أداة شرط، لزم الصدر في الجملة. فتصير الجملة شرطيّة[٣٥]: أزورك متى أهل رمضان: ظرف. متى أهل رمضان

أزْرُك: شرط.

وأزعم، على ما تقدم، أنَّ بؤرة التحدي هي في البنية النحوية. أما الأبنية الصرفية، والصوتية فعلى تحكم قوانين النوع بها، يمكن أن تلحظ على هيئة عناصر: وهذا اللحظ يجعل بؤر التحدي فيها أقل حجماً وخطورة مما هي عليه في السلاسل المتداخلة أعني «الكلام» نحن نستطيع أن نقلب القالب «تفاعل» في العربية: ونرى آثار التخريب فيه. ولكن أنى لنا أن نقع على نظام الترابط والرتب والعلاقات؟؟ ومن هنا ينبغي توجيه «النقد» الى ذلك «الاتجاه» اللغوي الذي بدأ خطوته الأولى، في مطلع هذا القرن: اتجاه التصويبات اللغوية. وعلى الرغم من الملاحظات القيمة التي قدمها أصحاب هذا الاتجاه، عادوا الى المنطلق الأول: الذي بدأت به استجابة العربية «مشكل الكلمات» ومشكل اللحن، أي أنهم في محاولتهم بناء حاجز لم يلحظوا أن العربية الفصيحة بوصفها كلاماً، بدأت تختفي: وأن الثنائية اللغوية، التي شهدتها المجتمعات البشرية (فصيحة وعامية، أدبية ومتداولة) أصبحت في المجتمع العربي ـ على مستوى النطق ـ أحادية، اللغة الحية هي العامية (مجموعة اللهجات) واللغة الوثائقية هي الفصيحة (مجموعة المستويات) وأصبحت اللغة الحية تؤسس ترابطها الداخلي على نحو مقتبس هجين.. ولم تعد للعربية الفصيحة في «العامية» سوى ذكريات بعيدة. أصحاب اتجاه «التصويبات اللغوية» لم يضعوا أيديهم على مكان التمزق الرئيس الذي حدث بالاستعمال «المضاد». وهو الاطار الوحيد الذي يترك «البنية» تنمو نمواً طبيعياً لا صناعياً. وبعبارة أخرى لم يواجهوا «المشكل» بأسس نابعة من علم اللغة: بل واجهوه بأسس أخلاقية في ضرورة الحفاظ على اللغة العربية[٣٦].

الغزو ومحور الترجمة:

لما كانت العربية الفصيحة مكتوبة فقط فتح الغزو: بالترجمة ثغرة في نظامها. ولا أريد هنا أن أغض النظر عما أدته الترجمة، التي هي علامة من علامات النوع اللغوي، إن «الترجمة» ونظرياتها أهم وسيلة اتصال: ذات منظومة ستراتيجية أعني (اللغة) وأن وسائل الاتصال الأخرى وإشاراتها مشترطة بوجود سياق خاص. أما هذه فموجودة بالحاجة وتحقق النوع الانساني[٣٧] وسواء عددنا «الترجمة» فناً أدبياً أو مسألة في برمجة العقل الآلي الالكتروني[٣٨] تبقى ذات أهمية قصوى في العالم الحديث. غير أن ما نريد الاشارة اليه هنا هو سوء الترجمة الذي كان السبب الرئيس، على ما أرى في تدمير قوانين النوع التركيبي للغة العربية. إن الترجمة التي تبدو سهلة لأنها تُوجد مرادف نوع لنوع آخر، وتتصل بسياق النص المترجم تقع في «مشكل» يقدمه «علم اللغة» على النحو الآتي: إن المترجم ابن سليقة لغة: وهو يتعلم (على كبر) لغة أو لغتين أو أكثر.. وإن إحساسه السليقي والتعليمي ليسا أمراً واحداً، في أفضل الظروف. وكلما ضاقت الفجوة بين «استكناه» اللغة، واكتسابها، صار «المترجم» ذا لسانين، وعليه أن يتكلم بلسان واحد. إن المشكل يكمن في أن على المترجم يقع عبء توحيد متضادين، لا يمكن أن يتوحدا في الباطن. لقد عبر الأستاذ ريتشاردز I.A. Richards في بحثه الموسوم «نحو نظرية للترجمة» عن هذا المشكل بقوله: ربما تكون الترجمة من وقائع الحياة، ذات النمط الأكثر تعقيداً من أي شيء آخر، ظهر لحد الآن في تطور الكون[٣٩].

إذا كانت الترجمة كذلك، استطعنا أن ندرك مغزى «الانسان» فيها لا مغزى «النظام».

يعيش «الانسان» أو المترجم بقوانين لغته، يعيش فيها وبها (العامية) ويستظل بـ«فصيحة» ذات مستويات متعددة، مفترقة عن العربية وملتقية بها في آن، خلال مستواها الموروث، ويتعلم خارج منطقة «الطفولة» ـ منطقة جذوره ـ لغة جديدة: يعيش ويستظل ويتعلم في آن: لِيُخرج لنا تراكيب مزدوجة: تحمل رسمها العربي ونظامها الأجنبي، وذكريات نظام تاريخي: في تلك اللحظة، لحظة الترجمة، تتدافع البنى: وتحل الوافدة، لأنها مهاجمة، محل الساكنة، لأنها مدافعة. لكن كلما كانت ذكريات النظام التاريخي (البنى الثابتة) تمتلك رصيداً قوياً سمحت للنوع بالمحافظة على أكبر قدر من خصائصه، وهذا ما حصل لنوع العربية، النوع الذي دُوّن فيه القرآن الكريم والأدب والمصنفات الكبيرة: بقي يصد خصائص البنية الوافدة بمداد المترجمين، بخصائص بنيته. لكن هذه الخصائص لا تتمكن من الصمود الى ما لا نهاية في وجه ضغط نتاج هائل للثقافة والفكر المعاصرين. فإذا أضفنا الى ذلك تعرض مستوى الكتابة (الفصيحة الآن) الى دعوات[٤٠] (ذات مرام) بغية تقويضها ـ كما حصل للفصيحة المنطوقة ـ أدركنا معنى التحدي ومعنى وجود بؤرته في البنية النحوية.

ذلك هو مشكل التحدي كما أرى. إنه يشبه اخطبوطاً يهاجم بعدة أذرع: ذراع تاريخية، وذراع سياسية، وذراع علمية.. الخ. إن هدف هذه الأذرع تدمير مركز العمل في اللغة، أعني بنيتها النحوية، في الكتابة، بعد أن فقدت معقلها في النطق: أما ما وراء التدمير فأمر جلي: إن فقدان الاحساس بمنظومة النوع: ينشيء اغتراباً تاريخياً، إن الوثائق التي بحوزتنا: وثائق الدين والدنيا ستقرأ بلغة أخرى.. هل في هذا القول مبالغة تتجاوز النظر العلمي ومجموعة الحقائق السائدة؟ سيكون جوابي: تقديم «عينة» من غزو تراكيب «نوع» الانجليزية، في تراكيب نوع العربية.

عينة البحث:

اشتملت العينة على أربعين ومائة تركيب. وهي «عينة» أخذت من ألف صفحة؛ تُكوّن أربعة كتب مترجمة، وهي:

١ـ الأسطورة والرمز: ترجمة الأستاذ جبرا ابراهيم جبرا[٤١].
٢ـ نظرية لغوية للترجمة: ترجمة الدكتور عبد الباقي الصافي.
٣ـ قصص من سارويان: ترجمة الأستاذ محمد صالح؛ شريف.
٤ـ قلب الظلام: ترجمة الأستاذ نوح حزين.

أمثلة العيّنة:

كتاب نظرية لغوية للترجمة:[٤٢]

١ـ الترجمة فعالية بالغة الأهمية في العالم الحديث (ص ٥).
٢ـ وهي ليست موضع اهتمام علماء اللغة ومدرسيها فحسب. (ص ٥).
٣ـ فاعتبرها نفر منهم فناً أدبياً (ص ٥).
٤ـ التي تتميز بواسطتها الأصول (ص ٥).
٥ـ لا يعالج بصورة أساسية أية مسألة من المسائل الخاصة (ص ٥).
٦ـ تنسب اليها ملاحظاتنا عن نماذج معينة.

٧- في مسائل ترجمية معينة.
٨- لا بد لأي تحليل أو وصف لعملياتها.
٩- ولكي يلقى الكتاب قبولاً أكثر لدى عموم القراء.
١٠- لا يمكن مناقشتها مناقشة جدية دون الاعتماد.
١١- أود أن أشكر بشكل خاص الدكتور
١٢- لأنه أصبح من الصعب أن يكون لمجتمع استطاعة العيش، منعزلاً عن غيره من المجتمعات... خاصة إذا كان راغباً.
١٣- وانعدمت فيها الحواجز.
١٤- وبالرغم من كثرة المقالات فلا نجد.
١٥- وبالنسبة للكتاب الأول.. فقد كان هدفه الأول.
١٦- الى عملية في غاية التعقيد.
١٧- عن أدائها أداء ناجحاً لحد الآن.
١٨- ونعني بها الترجمة الأدبية عموماً والشعرية بوجه خاص.
١٩- ونشرت الترجمة من قبل وزارة الاعلام.
٢٠- فإن كانت المجموعة الايقاعية متكونة من أكثر من مقطع واحد، عندئذ يكون المقطع.
٢١- ويمكن بالتالي حذفه.
٢٢- ولهذا فإن الايقاع المتمثل (ص ٣٥).
٢٣- وعليه فإن عناصر التركيب لوحدة الجملة في الانكليزية هي المسند والمسند اليه (ص ٢١).
٢٤- وهي النظرية العامة لكيفية عمل اللغة والتي تضع أقساماً عامة (ص ٤٣).
٢٥- وبالنسبة لهذه النظرية يعتبر (ص ٤٣).
٢٦- وتحقيق ترجمات متعددة بين أي زوج من اللغات (ص٤٣).
٢٧- تعتبر العلاقات بين اللغات عموماً ذات اتجاهين، ولو انها ليست دائماً علاقات متناظرة. (ص٤٣).
٢٨- أبدل عنصراً من الموقف السياقي ولاحظ أية تبدلات نصية (ص٦٥).
٢٩- وما دام التطابق الشكلي في أحسن حالاته تقريباً عموماً (ص٦٦).
٣٠- ويندر أن يتماثل في أية لغتين (ص٦٦).
٣١- وهو بالاضافة الى ذلك، يتصل بالمعنى الشكلي (ص٦٦).
٣٢- فلو فرضنا أن النظامين يغطيان نستطيع أن نمثل المعاني. (ص٦٦).
٣٣- أما العدد هنا فسمة لا ترتبط بالمواقف السياقية لهذا النظام (ص٦٧).
٣٤- ويمكن أن تكون التحذيرات الكاملة غير مميزة، بينما يشار الى التحويرات الأخرى (ص١٠٦).
٣٥- ويمكن أن نعترف أن نهاية الاتصال عارية باستثناء الحالة التي يذكر فيها خلاف ذلك (ص١٠٦).
٣٦- تميل العلامات المميزة الى الانتشار على عدد من مستويات اللغة (١٤٩).
٣٧- هي عدم إمكانية لقيام الترجمة (ص١٥٠).
٣٨- أن كلا الترجمتين أعلاه ستقرآن بغرابة (١٦٥).
٣٩- لقد استطعنا لحد الآن أن نلمح فحسب (ص١٦٨).
٤٠- ويحتاج الى دراسة موسعة أكثر (ص١٦٨).
٤١- وفي الواقع إذا ثبتت استحالة الترجمة الثقافية يمكن وصفها في النهاية، وفي جميع الحالات على أنها شكل من أشكال استحالة الترجمة اللغوية فستكون قدرة وفاعلية نظرية الترجمة.. وسيتوسع من بين أشياء أخرى أفق الترجمة الآليّة (ص١٦٨).

الأسطورة والرمز (٤٣)

٤٢- تحدث طبيب نفساني فرنسي عن الحدود وعن المخدور. (ص٦٠)
٤٣- لا ريب أن هذا يمكن تحقيقه من غير الحالة السريرية (ص٦٠).
٤٤- إن العاشق لا يبحث عن الموت وحسب بل يبدو (ص٩٠).
٤٥- وتتردد أساطير ديانا بكثرة لتلعب في الشعر دوراً خلاقاً (ص٩٠).
٤٦- ولكن عندما يقول إن وجه الله قد يوجد في قشر المجر فإننا ندرك (ص١١٦).
٤٧- وبما أن طبيعة الله هي الشرط المسبق الكامن وراء كل شيء في سفر أيوب، بما فيه الفكرتان فإن التحوير الذي (ص١١٦).
٤٨- جاعلاً إياه بذلك غير عالم بتصرفه، وبالتالي غير متمايز (ص١١٦).
٤٩- غير أن مرونتها ليست من غير حد (ص١١٦).
٥٠- لعل هذه الاستحالة كان لا محيد عنها (ص١١٧).
٥١- فلئن يسرت جدران عدن... فإن (ص١١٧).
٥٢- وحتى أشد الأفراد جرأة وحساسية ليسوا بمنجى (ص١١٧).
٥٣- إذ ليس لديهم إلا نزاهتهم وصلابة إرادتهم سلاحاً ضد القوى السفلية هذه (ص١٤٦).
٥٤- يشيرون عن طريق ما يختارونه الى (ص١٤٧).
٥٥ -ولكن ملتون غير قانع بالحشود التي أجنحتها من ذهب تعيد ما هو غير مكثف بأسطورة أبولو (ص ١٧٢).
٥٦- وفي النهاية عندما يقوم ملتون الاسم السماوي فإنه يجابه العالم (١٧٤)
٥٧- ولذا فإنها تمثل (ص١٩٠).
٥٨- وكما الذهن للقلب والذهب للزنبقة وانعهد القديم للعهد الجديد هكذا كنز الملك لجنينة الملكة (ص١٩١).
٥٩- وهو ينجم عن التوحيد بين الملكة وبين المسيح القائم من الموت (ص١٩١).
٦٠- ما هي الأشياء المعنية بالأسطورة والرمز (ص١٩٤).
٦١- كلا الأمرين عزيا الى التقليد اليهودي المسيحي (ص١٩٥).
٦٢- أود لأغراض التحليل أن أميز بين الأسطورة البدائية والمسيحية والأمريكية ولو أنها جميعاً تتوحد عندما تعتبر جمالياً «كتراكيب ذهنية (ص١٩٥).
٦٣- أو ربما عندما تعتبر انثروبولوجيا كمؤثرات براغماتية (ص١٩٥).
٦٤- ولكن بما أنني أقرب في اتجاهاتي الى وجهات النظر التجريبية.. مني الى الأنساق المثالية التي يعرف بها فإنني سأركز (ص١٩٦).

٦٥- وهي - بالتالي - تيدي علائم (١٩٦).
٦٦ - وأخيراً فإن فوكنر (ص ١٩٦).
٦٧- وهكذا فإنني أجازف (ص١٩٦).
٦٨- التي تدور حول التعليم (ص١٩٧).
٦٩- والجزء الخامس الشديد الصلة بالأجزاء الثلاثة الأولى يشمل على (ص١٩٧).
٧٠- والفضة بأجمعها تمثل أعمق وأنفد استقصاء (ص١٩٧).
٧١- الرحلة الخطيرة، الصراع المركزي، وتمجيد البطل (ص١٩٧).
٧٢- تحوي الأجزاء الأول والثاني والثالث (ص١٩٨).
٧٣- ولكن لما كانت القصة معنونة بالدب وله أهميته الجلية، فإنني سأعود اليه فيما بعد، في بحثي هذا (ص١٩٩).
٧٤- وعلى ما بين الرجلين من فروق كبيرة فإن بوسعنا (ص٢٠٠).
٧٥- وكما فعل ماركس فإنه يحلل الطبيعة (ص٢٠٠).
٧٦- نجد أن الصراع ذو شقين: فمن الناحية الواحدة هناك الوجه الدارويني (ص٢٥٤).
٧٧- ومع أهمية هذه الأفكار فإن القضية (ص٢٢٤).
٧٨- التي درسها وفصلها العصر (ص٢٢٤).
٧٩- وفيما راح داروين وفرويد وماركس يضعون القضية في إطار المصطلحات راح فريزر يطور ديالكتيكه (ص٢٢٤).
٨٠- والطقوس التي إذا أقيمت، ضمنت تغلب الآلهة على الأداء، فضمنت بالتالي لقاء الانسان وبالنتيجة فإن فريزر (ص٢٢٥).
٨١- وفضلاً عن ذلك فإن الكثير (ص٢٢٥).
٨٢- كما أن طريقة المقارنة التي تثبت فيها طيلة حياته (ص٢٢٦).
٨٣- وهكذا فإن الغصن الذهبي (ص٢٢٦).
٨٤- تعود بأصولها الى الستينات في القرن الماضي (ص٢٢٧).
٨٥- ولئن يكن هذا الأسلوب البلاغي فإنه ولا شك (ص٢٢٨).
٨٦- إن بين هذه جميعاً وبين الغصن الذهبي صلات قربى متواشجة (ص٢٢٨).
٨٧- لم يكن مجرد صدفة (ص٢٣٦).
٨٨- وكذلك القصر الايطالي التي تنحدر جنائنه المدرجة (ص٢٣٧).
٨٩- كان هذا المكان الغابي في القدم (ص٢٣٧).
٩٠- ذات يوم أيلولي (ص٢٣٧).
٩١- وفريزر - ينبئنا عن ذروة الفعل (ص٢٤٦).
٩٢- وبالنسبة الى الباحث الذي كفريزر، فإن الثروة المثالية (ص٢٤٦).
٩٣- لا شك أن الرومانسية البحت (ص٢٤٧).
٩٤- إذ ما من شك في أن القديس الذي يذكره تقويم الكنيسة والذي سحلته الخيول (ص٢٤٩).
٩٥- وأما أن الأمر ليس مبتذلاً بل إنه هو الذي يجب جداً تأكيده (ص٣٥).

قصص من ساروبان[٤٤].
٩٦- ويشمها لساعات (ص١٠).
٩٧- وبالتأكيد لن يسمح له بالدخول (ص١٠).
٩٨- جاءت أمي الى زائرنا الوحيد بالقهوة (ص٢٤).
٩٩- مشيت عشرة أميال (ص٢٤).
١٠٠- مشى ببطء خارج البيت صافقاً الباب (ص٢٥).
١٠١- ولكنه انتوى أن يبقى معها (ص٢٩).
١٠٢- وعلى اية حال، فإنه سيجد نوعا (ص٢٩).
١٠٣- وهنا الحياة لا زالت تتحرك (ص٣٠).
١٠٤ -الصمت كان تقريباً حتماً صمتاً مقدساً (ص٣٠).
١٠٥- ضحك سراً وعلناً بعد أن وضعها أمامه بقوة كجزء من وجوده بشكل منبسط (ص٣١).
١٠٦- قال: حسناً، إني هنا (ص٣١).
١٠٧- لا زلت ذلك الشر (ص٣١).
١٠٨- تؤثر عليها (ص٣١).
١٠٩- اندهش فجأة (ص٣٢).
١١٠- وهو يجلس على مائدة العشاء (ص٥١).
١١١- لم يكن يعرف بالتأكيد فيما إذا كان يحب المدرسة (ص ٥٢).
١١٢- إذا كانت الفئران تحمل مرض الملاريا إذن، من المحتمل (ص٦٦).
١١٣- وكذلك صوت العظام الصغيرة، وهي تتكسر والتي تشعرنا بالحزن (ص٦٧).
١١٤- لست صاغياً (ص٩٠).
١١٥- راغباً بشيء (ص٩٤).
١١٦- تجعله يضحك الى درجة أن وجهه يحمرّ (ص٩٥).
١١٧- طيب. سوف يضحك بلا معنى ضحكة قديمة. إذن سيكون ممثلاً (ص٩٥).
١١٨- محاولاً أن يظل أن يضحك (ص٩٥).
١١٩- وكم الأشياء كئيبة ومنعزلة (ص٩٨).
١٢٠ -بين كم من العمر تبلغ (ص٩٨).
١٢١ -تتكلم معه كما لو كان شخصاً كبيراً (ص٩٨).
١٢٢- قلت: لا. لا أعتقد بذلك حتى وإن رفسته وإن لم يعضك (ص١٠٨).
١٢٣- أعتقد أن هذا المسكين سوف يفعل خدعة (ص١٠٩).

قلب الظلام:

١٢٤- ورغم أن كونراد . . . إلا أن وضعه (المقدمة: ب).
١٢٥- التي لم يستخدمها بالاسم أبداً (المقدمة: ت).
١٢٦- ومع أن كلاً من كلبنغ وكونراد يمثلان. . إلا أن الأساس (المقدمة: ت).
١٢٧- ومن بين تعبيري العامل ورب العمل ظهرت (المقدمة: ت).
١٢٨- ومن جهة أخلاقية، فإن أخلاقيات كونراد (مقدمة: ت).
١٢٩- وحتى رمزيته وتصوره الأخلاقي للأشياء، فإنها لا تكون فاعلة (المقدمة: ج).
١٣٠- ومقارنة بهذين الاثنين يبدو كونراد بريئاً (المقدمة: ج).
١٣١- من بين معاصريها من الكتاب لم تمتدح الروائية الانكليزية فرجينيا وولف - سوى كونراد (المقدمة: د).
١٣٢- ويبقى الحديث عن كونراد ناقصاً دون الحديث عن لغته

(المقدمة: ر).

١٣٣ـ عندما كان صغيراً في بولندا نظراً كونراد (المقدمة: ر).

١٣٤ـ لقد استفاد ت. س. اليوت من مشهد الابلاغ عن موت كورتز (المقدمة: ط).

١٣٥ـ ويجثم ساكناً فوق أكبر وأعظم مدينة على الأرض (ص١).

١٣٦ـ إذن فأنت ذاهب الى هناك (ص١٦).

١٣٧ـ تسلقت الى ظهر الزورق (ص٤٠).

١٣٨ـ ولكن أحداً لا ينسى ابهامه (ص٥٠).

١٣٩ـ لقد كان ثقيلاً وثقيلاً من أي رجل على وجه الأرض (ص٣٧).

تحليل العيّنة:

١ـ تحويل خلية الاضافة، التي هي خلية، نسبة تنطوي على وصف يتألف من:

جامد + جامد

كـ جدار البيت

و جامد + حدث

كـ حقل الترجمة.

فالحدث مصدر يحمل النسبة في ذاته وتحويله الى مصدر صناعي، انحراف في بنيته ودلالته كالقول: في مسائل ترجمية معينة والعودة الى «نول» العربية يكون على النحو الآتي: في ترجمات.. وربما كان هذا المنحى ناتجاً عن ترجمة: Translatable.

٢ ـ خرق مفهوم «الاستغراق» في نوع العربية، وهو ما يشير اليه معنى النكرة الوظيفي من دلالة العموم[٤٥] وإحلال مفهوم الاستغراق أو «العموم» في نوع الانكليزية: كالقول «لا بد لأي تحليل أو وصف» وهو ترجمة any analysis في حين تتوسط العربية الى هذا المعنى بالتنكير حسب، لأنه ينطوي على العموم بذاته:

«لا بد لتحليل أو وصف».

٣ـ تحويل في نظام «الوصف» في المشتقات:

كالقول: الترجمة فعالية بالغة الأهمية في العالم الحديث «فمادة «بلغ» تشير الى الوصول. ومنه قوله تعالى ﴿فإذا بلغن أجلهنّ﴾[٤٦]. فإذا استبدلنا «بالغة» بـ «واصلة»: «فعالية واصلة الأهمية» أدركنا انحراف التحويل. وربما هي ترجمة لـ: Very important.

إن صفة فاعل تستقر في نظام الاسناد، على النحو الآتي: إن الترجمة (فعالية) بلغت أهميتها منتهاها... أو بالغة أهميتها منتهاها.. الخ. والعودة الى نول العربية: الترجمة نشاط ذو أهمية قصوى، أو (فعالية) مهمة جداً. إذا أصر المترجم على استعمال (فعالية).

٤ـ تحويل في معاني الوظائف النحوية للأدوات كالقول: «التي تتميز بواسطتها الأصول» فمعنى الوظيفة النحوية للـ«باء» ينطوي على مفهوم الاستعانة، فلا حاجة ها هنا الى كلمة «واسطة» التي هي تحريف «دلالي» لكلمة وساطة: التوسط بين.. من الوساطة»[٤٧].. ويكون القول: «التي تتميز بها الأصول».

٥ ـ تحويل في التعليق، كالقول: «تنسب اليه ملاحظاتنا عن نماذج معينة» وربما هي ترجمة Our notes.... about يتعلق الفعل «لاحظ» ببنيته (متعد) ويكون القول: تنسب اليها ملاحظاتنا نماذج معينة.

٦ ـ تحويل في تطابق الجنس في نوع العربية، كالقول: «لا يمكن مناقشتها» أي «لا تمكن مناقشتها».

٧ ـ تحويل في قانون النفي في نوع العربية. كالقول: لا تمكن مناقشتها مناقشة جدية دون الاعتماد، وربما هي ترجمة لـ With out depending فعلى مستوى الوظيفة النحوية، تكون «دون» ظرفاً، وهي ضد فوق وعلى مستوى الدلالة «المعجمية» تكون «دون» بمعنى أقرب.

تقول: «هذا دون ذاك» أي أقرب منه، وتحول هذا المعنى المعجمي الى المعنى الوظيفي الآخر: وهو «الاغراء».

تقول في الاغراء بالشيء «دونكه» ويتوصل نوع العربية الى النفي بـ «من غير» أو بـ «لا».

٨ ـ تحول عن قانون «المطاوعة» في «قالب» العربية. وهذا القانون جزء من سمة الاشتقاق، التي تصدر عنها أبنية القالب في نوع العربية كالقول: «وانعدمت فيها الحواجز».

وينزع قانون المطاوعة الى الأفعال المادية، دون الأفعال المعنوية، فنقول «انكسر» و«انفتح» و«اندفع» ولا نقول: انفهم واندهش وانعدم، ويرتبط «النّزوع» و«الافتراق»، بقوانين «النوع»، التي تؤسس أنظمتها الدلالية، على أسس (توزيعية) محددة.

٩ـ تخريب قوانين الربط في نوع العربية: كالقول:

«وبالرغم من كثرة المقالات فلا نجد»

«وبهذا فإن الايقاع...

«وعليه فإن عناصر التركيب».

إن «الفاء» هي أداة ربط أساسية في الجملة المركبة. العربية (جملة الشرط) يكون هذه الجملة منطوية على سلسلة جمل «بسيطة» فالفاء تقوم بوظيفة «تعليم» Marking المركز وتوابعه. وهي تبرد حيثما وردت الجملة المركبة: في منحييها الشكلي والدلالي كقوله تعالى: ﴿والزانية والزاني فـ: اجلدوا كلّ منهما﴾[٤٨] يقول الفرّاء: «رفعتها (الزانية والزاني) ولا ينصب مثل هذا، لأن تأويله الجزاء»[٤٩] وقد قام المترجمون، بتوهم الشرط، بإيراد الفاء مطلقاً الأمر الذي يترك آثاراً تخريبية في نظام الارتباط المركب: ويحيل عليه أنظمة تستقر في تراكيب أخرى، وتنتج دلالات أخرى:

فنرى في القول:

«ولكن عندما نقول إن وجه الله قد يوجد في قشر الحجر/ فإننا ندرك» الأداة «عندما» وهي أداة محولة الى الشرط (٥٠) تستدعي فاء الربط وإجراء تحويل في الجملة آنفة الذكر. يقدم لنا السلسلة التركيبية على النحو الآتي:

ولكن فإننا ندرك

عندما نقول إن وجه الله...

وتقع آلة الاستدراك في العربية «لكن» ساكنة على الفعل مباشرة:

فيكون القول ولكن عندما. . . .

. . . . . ندرك

أي: ولكن ندرك عندما. . . .

١٠ـ تحويل في الاسناد، من فاعل معلوم في نوع العربية، الى فاعل مجهول في الانكليزية.

كالقول:

«ونشرت الترجمة من قبل وزارة الاعلام» وهذا جزء من قوانين نوع الانكليزية الذي ينحو الى إقامة فاعلين مجهولين:

the translation was published

ثم عبارة «توضيح الفاعل»:

by ministry of information

العربية تنزع الى إقامة فاعلين معلومين، فيكون القول:

«ونشرت الترجمة وزارة الاعلام».

١١ـ تكرار «أداة» تؤدي الى معنى وظيفي ثان، والقصد معنى واحد.

كالقول: وهي النظرية العامة لكيفية عمل اللغة والتي تضع أقساماً عامة.

وربما هذا من: and which is

فها هنا يكون الموصول (بجملته) صفة لكلمة «لغة» وترتبط الصفة بموصوفها على نحو مباشر في العربية، فنقول «عمل اللغة التي تضع أقساماً». أما زيادة الواو فتؤدي الى الاشارة، الى موصوف آخر، غير كلمة «اللغة» فنستطيع تحويل التركيب بالواو على هذا النحو:

كيفية عمل اللغة و البنية التي تضع أقساماً أخرى.

١٢ـ تحويل في نظام التعليق الفعلي: كالقول: «لتلعب دوراً».

وهو من play a role

والفعل في العربية: بـ: فيكون

القول: لتلعب بدور.

وهذا لا يكون، لأن المقصود:

تأدية الدور، وليس اللعب به.

ش فنقول: وأدى «دوراً».

١٣ـ تحويل في توزيع أدوات الربط كالقول:

فلئن يسرت جدران عدن. . .

فأن. . .

فلئن (قسم) تستدعي «اللام» في الربط، وإن (شرط) تستدعي (الفاء).

وهذا جزء من علامات التفريق، في الأساليب اللغوية.

فاللام علامة قسم

والفاء علامة شرط

ويتعلق الاستدعاء بقانون الموقعية بين الشرط والقسم (التقدم والتأخر).

١٤ـ تحويل في نظام التعليق:

كالقول:

«يشيرون عن طريق ما يختارونه»

والعربية: يشيرون بما يختارونه.

١٥ـ ارتجال مركبات تكافيء الدلالة في النوع المترجم عنه: «وكما هكذا».

في القول:

«وكما الذهن للقلب والذهب للزنبقة هكذا كنز الملك لجينية الملكة». وتطرح العربية (هكذا) لأنها تؤدي بـ (كما) ما تؤديه الانكليزية بـ . . so and such as this

ويكون القول: وكما يكون الذهن للقلب. . . يكون كنز الملك لجنية الملكة.

فالعربية تعيش في (الفعل).

١٦ـ تكرار (المتوسط) بين الشيئين كالقول:

وهو ينجم عن التوحد بين الملكة وبين المسيح.

وربما هو ترجمة لـ between... and

والعربية: التوحد بين الملكة والمسيح.

١٧ـ تخريب في نظام تعاقب المفسر والمفسر (نظام الرتبة) كالقول:

ما هي الأشياء المعينة بالأسطورة؟

وهي من What is

إن الضمائر في العربية حروف تدل على معانٍ صرفية عامة، وهي لا تكون معرفة إلا بقرائن السياق. وقرائن ضمائر الغيبة، في السياق، هي ما ترجع اليه من أسماء[٥١].

فكلمة (الأشياء) هي مرجع الضمير (هي). أي أنها تعرف بـ (هي) وليس العكس. فنقول ما الأشياء؟

١٧ـ تحويل في نظام العدد النحوي. كالقول «كلا الأمرين عزيا» وهي من

والعربية: كلا الأمرين عزي.

١٨ـ تعويض الدلالة بأدوات مضافة: فنشأ، من هذا، تركيبات مرتجلة: كالقول:

«أو ربما عندما تعتبر انثروبولوجيا كمؤثرات براغماتية»

ونوع العربية: يكتفي بـ «أن» التي تنطوي على الترجيح والاحتمال وبعبارة أدبية، توجد في أحشاء «أن» ربما، ويكون القول «أو أن تعد أنثروبولوجيا».

١٩ـ تحويل في نظام الخلايا المركزية والثانوية للجملة.

كالقول:

تعتبر انثروبولوجيا كمؤثرات برغاماتية، وهي من

لأن التشبيه يقع في خلية الاسناد كالقول: المطر كاللؤلؤ

وهي مسألة مرتبطة بقوانين التعريف والتنكير في النوع أما الوصف (الحال) فيقع في خلية التخصيص (٥٢) أو الفضلة.

ويكون القول: «تعد انثروبولوجيا مؤثرات براغماتية».

٢٠ـ تخريب في نظام التتابع. كالقول:

«المرحلة الخطرة، الصراع المركزي، وتمجيد البطل».

فالتتابع في العربية يكون بحرف عطف ويكون القول:

المرحلة الخطرة والصراع المركزي وتمجيد البطل. .

٢١ـ تحويل في نظام المعاني النحوية: كالقول «تحوي الأجزاء الأول

والثاني والثالث».

فالبدل في هذه الجملة هو كلمة

الأول، وينبغي أن يكون مطابقاً المبدل منه.

ولكنه ها هنا يفترق عنه عدداً:

«الأجزاء الأول»

والعربية تتوسط الى هذا بالعطف فيكون: «يحوي الجزء الأول والثاني والثالث».

٢٢ـ تخريب وشائج التركيب:

كالقول: نجد أن الصراع ذو شقين، فمن الناحية الواحدة هناك الوجه الداروينى، إن الوشائج ها هنا تفترض:

الصراع ذو شقين: الشق الأول

أو يميز الشق الأول... الخ

إن القول

ذو شقين: فمن الناحية

ينطوي على (استئناف» لا يقيم تآلفاً دلالياً مع ما تقدم عليه.

ويكون القول:

نجد أن الصراع ذو شقين: شق الوجه الداروينى الذي يرمز الى (أو يمثل) الناحية الواحدة.

ومن هذا التخريب أيضاً: «بعد أن وضعها أمامه بقوة كجزء من وجوده بشكل منبسط».

٢٣ـ ارتجال مركبات ربط ـ كـ: فيما راح... راح...

وفيما راح داروين... راح فريزر

والعربية:

وحين كان داروين وماركس وفرويد..

يضعون... كان فريزر

فمركب «كان يفعل» الذي يدل على استمرار الحدث في الزمن الماضي (٥٣) يتضمن في دلالته جزءاً من دلالة الفعل (راح).

٢٤ـ تكوين عناصر اعتراض في سلسلة التركيب. كالقول:

«فضمنت بالتالي، بقاء الانسان وبالنتيجة فإن فريزر».

وهذه العناصر تقوم على تحويل في وظائف الأدوات (الباء والواو والفاء) ومعاني الكلمات (النتائج والتالي).

والعربية:

«فضمنت من ثم بقاء الانسان، وعلى هذا جرى فريزر».

٢٥ـ تحويل في القالب:

كالقول:

«طيلة حياته»

فمادة (طول) من العربية تنشيء (طِوال) بالكسر صفة و(طَوال) ظرفاً.

و(الطول) صفة و(طولَ) ظرفاً

تقول العربية:

«طولَ أو طَوالَ حياته».

٢٦ـ استعارة مركبات ترجمة. كالقول «الستينات» وهي من العربية: العقد السادس.

٢٧ـ تحويل في التطابق: كالقول: «وكذلك القصر الايطالي التي تنحدر جنائنه».

والعربية: القصر الايطالي الذي تنحدر جنائنه. وهذا التحويل ناشيء عن توهم إمكان استبدال: التي تنحدر بـ (المنحدرة).

أي تحويل العبارة (الموصول وصلته) الى جملة (الصفة المشبهة وفاعلها)؛

«القصر الأيطالي المنحدرة جنائنه».

٢٨ـ تحويل في مستوى الإشارة، في الجامد والمشتق. فالجامد يشار إليه (يوصف) والمشتق يشير (يصف).

كالقول:

المكان الغابي

يوم أيلولي

فالغابة تُوصف

وأيلول يوصف

فإذا كنا نتوهم انطواء الغابة على معنى المشتق (أي المكان كثيف الشجر مثلاً) فعلى أي شيء تنطوي كلمة (أيلول)؟؟

٢٩ـ تحويل في مستوى التعليق

كالقول:

«جاءت أمي الى زائرنا الوحيد بالقهوة».

في العربية مستويان من هذا التركيب:

جاء إليه أي انتهى إليه.

وجاءه بـ: أي حمل إليه

ويكون القول: جاءت أمي زائرنا الوحيد بالقهوة

ومن ذلك:

تؤثر عليها

والعربية: تؤثر فيها

ومن ذلك:

«وهو يجلس على مائدة العشاء»

والعربية: وهو يجلس الى مائدة...

٣٠ـ تحويل من دلالة المركب. كالقول: «وهنا الحياة لا زالت تتحرك».

إن ال(التام) في العربية (فعل) إذا نُفي بـ (لا) تحول الى الدعاء، وليس الى الزمن.

والمقصود في الجملة آنفة الذكر:

الزمن.

ويكون القول: «وهنا الحياة لا تزال تتحرك»

٣١ـ تحويل في مستوى الموقعية.

كالقول:

«إذا كانت الفئران تحمل مرض الملاريا إذن من المحتمل»

العربية: فمن المحتمل إذن.

٣٢ـ تحويل في بنية القالب (ارتباط بنية القالب بمستوى الدلالة)

كالقول:

لست صاغياً

فـ صغا = مال وبابه: عدا

ونقول: صغا يصغو. وأصغى اليه مال بسمعه نحوه[٥٤].
العربية ها هنا:
«لست مصغياً».

٣٣ـ تحويل في دلالة المركب الزمنية:
كالقول:
محاولاً أن يظل أن يضحك
فالمركب ظل يفعل «يدل على حدث مستمر في الماضي»[٥٥].
والتفريق بين الفعل المساعد (ظل) وحدثه (يضحك) بـ «أن» التي تؤدي وظيفة الاستقبال والتحويل الاسمي يشير الى انحراف ناشيء عن محاكاة أنماط أخرى في نوع العربية: كالقول: «وددت أن يذهب أي وددت ذهابك».
أما هنا فيكون:
ظل أن يضحك = ظل ضَحِكاً
أما ظل يضحك فـ = ظل ضاحِكاً

٣٤ـ تحويل في توزيع (العلامة) الزمنية
كالقول:
«التي لم يستخدمها بالاسم أبداً»
فالعلامة بين حدث الماضي (لم يستخدم) نكون بـ ظرف ماضٍ وليس بظرف استغراق.
فيكون القول:
«التي لم يستخدمها قط».

٣٥ـ تحويل في مستوى الموقعية والربط:
كالقول:
«انحنى المدير عليه متمتماً بينما كان يسير محاذياً لرأسه». وهي من While.
أما (بينما) في نوع العربية. فتكون لها الصدارة وتؤدي وظيفة الربط الفجائي كالقول: «فبينما العسر إذ دارت مياسير»
وابن الانباري. ينص على تأديتها الربط الشرطي. تقول:
«بينما أنصفتني ظلمتني»[٥٦].
وهي، في كلا القولين، لا تغادر مرتبتها الجامدة.
وتتوصل العربية الى الربط الداخلي بـ (في حين). فيكون القول:
«وانحنى المدير عليه متمتماً، في حين كان يسير. . الخ».

٣٦ـ تحويل في مستوى الدلالة الزمنية:
كالقول:
(كادوا أنْ يدفنوني)
فالمركب (كاد يفعل) يدل على مقارنة وقوع الحدث. ومجيء «أنْ» قبل الحدث يسير بالدلالة الى المستقبل. فينشأ التعارض بين الدلالتين:
نقول: «كادوا يدفنوني»
ومن ذلك:
وبدا لي المنزل سينهار قبل أن. . .
العربية:
«وبدا لي المنزل موشكاً على. . .
أو على وشك».

في الاستجابة

نلاحظ إذن:

١ـ إن بؤرة التحدي الحاسمة «تتموضع» في البُنى وليس في الكلمات. وأن البنية النحوية، دون البنيتين الصرفية والصوتية، هي التي تدق أجراس الخطر: في إحلال نوع لغة محل نوع آخر. ولما كانت العربية المعاصرة ذات بنية نحوية وثائقية (كتابية)، وليست حيّة (صوتية) أدركنا طبيعة التحدي وأدركنا، في الوقت نفسه، معنى الاستجابة.

فإذا كان «التحدي» يحمل خطراً ذا شعبتين: شعبة استفحاله (بكثرة المنقول) وشعبة قوته (بكونه يتغلغل في بنية غير مستعملة) فإن الاستجابة (على وفق قوانين علم اللغة) تتميز، هي الأخرى، بـ:
أ ـ سكونها، أي بمقاومتها الطويلة.
ب ـ نشاطها التاريخي (من خلال ما تراكم، بها وفيها، من نتاج).
هذا هو جدل المشكلة.
التحدي والاستجابة في العربية:
إن القصور في (الانسان) وليس في (النظام).
فإذا وصلنا الى هذا انبغى لنا أن نقرر نتيجة الاستجابة الحاسمة:
وهي: تكوين بؤرة صوتية، بؤرة (كلام) حية.

فما لم ننقل وثائقية الكلام الى الحياة، فإننا سنترك التحدي يوسع شبكته بلا مقاومة تذكر.

إن هذه البؤرة، وهذا أمر بديهي، تتكون في سياق تاريخي: أي في سياق (استعمالي) وفي هذا السياق تحتك بالجانب الفردي: إن هذا الجانب يستعمل الفصيحة في مستوى الكلام: في أوقات من اليوم، أوقات ينشئها الدين (الصلوات والأدعية وتلاوة القرآن. . الخ) ومن هنا أمكن تطوير الاستجابة: من خلال مركزين أساسيين: الاعلام والتعليم. أعني الاعلام الناطق (الراديو، التلفزيون) والتعليم الناطق (إلقاء المحاضرات).

إن تكوين هذه البؤرة يشبه، إلى حد ما، إنشاء مصنع ينتج بضاعة ومصطلحات. إننا لا نستطيع قَوْد مشكل المصطلح من غير أن نقيم القاعدة التكنولوجية في بلادنا. وكذا لا نستطيع خلق استجابة حقيقية للتحدي الخطير بإجراء «تعديلات» و«تصويبات» على وفق منهج (معياري) وحيد. قادم من التاريخ، ليس له (غطاء) أي غطاء. لا يعني ذلك أننا نخلد الى السكوت، حتى تكوين البؤرة الصوتية، بل نذكّر أن الوعي هنا ضرورة:

ولكنه: ضرورة تدق جرس الخطر، ولا تغير الخطر!
كيف تتكون البؤرة الصوتية؟
إن هذا البحث لا يجيب عن (كيفية) تكوين البؤرة الصوتية! بل يجيب، وأزعم أنه أجاب، عن إمكان تكوينها:

نعم.
أما البؤرة الصوتية
ومستواها
وتعدديتها. . . الخ
فلها مقام آخر.

(١) يعرّف العالم اللغوي السويسري المشهور: فرديناند دي سوسور (١٨٥٧ ـ ١٩١٣) الاشارة اللغوية بـ «كيان سايكولوجي له جانبان: الدّال Signifie والمدلول Signified: والعلاقة بينهما «اعتباطية» ويشرح مفهوم الاعتباطية بقوله: «إنّ فكرة الأخت Sister لا ترتبط بأية علاقة داخلية بتعاقب الأصوات S-O-E-U-R التي تقوم بوظيفة الدال في اللغة الفرنسية. فهذه الفكرة، يمكن التعبير عنها باستخدام تعاقب صوتي آخر. انظر علم اللغة العام: الناشر دار آفاق عربية، بغداد ١٩٨٥ ص ٨٥ و٨٦. ورد على من اعترض على فكرة «الاعتباطية» بالألفاظ التي توحي بمعناها وألفاظ التعجب «بـ» أن هذه ذات أهمية ثانوية، وأصلها الرمزي موضوع خلاف/انظر المصدر السابق: ٨٩.

غير أن «سوسور» كان يكرس مفهوم الاعتباطية بين (الدال والمدلول) في لحظة عزل الاشارة اللغوية عن (قيمتها) الاستعمالية: التي تعيد (الوشيجة) الى جانبي الاشارة. وكأن الشيء هو نفسه لفظة: فما بالك إذا كان هذا «اللفظ» كلام الله؟

(٢) نشير هنا الى قطبي هذه المصنفات (من حيث المنهج): «دلائل الاعجاز» للعلامة عبد القاهر الجرجاني: الذي يتخذ التحليل الدلالي منهجاً له: وإعجاز القرآن للباقلاني الذي ينطوي على منهج تفسيري تأملي.

(٣) Nicholson, R. A. A. Literary History of the Arabs Cambridge, 1956, P. 235.

(٤) وقد حاول المشركون «الربط بين القرآن» و(الشعر): يفسر د. عبد الجبار المطلبي ذلك: «لما تحدثه آياته من أثر بالغ في نفوس السامعين، (فنسبوها) الى فعل قوى غيبية: وسرعان ما استغلوها فربطوا بين الكلام الفريد وهذا الضرب من الكلام الذي ينقله الشاعر عن شيطانه. وفي هذا السياق يمكن وضع «الإلهام» و«الوحي» في مقارنة بينهما وبين «الشعر» وآي القرآن. مواقف في الأدب والنقد، دار الحرية للطباعة / الناشر دار الرشيد / وزارة الثقافة والاعلام: ١٩٨٠ ص٣٧. إن الشاعر «يتلقى التأييد من قوة عليا لا من الجن والشياطين» المصدر السابق ص١٣١.

(٥) د. رشيد عبدالرحمن العبيدي / مقال بين البحث اللغوي العربي والألسنية الأوربية / مجلة كلية آداب المستنصرية عدد ١٢/١٩٨٥ ص٥٥.

(٦) د. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة، ١٩٧٣، ص١٠٨.

(٧) هذه مقولة العالم الأنثروبولوجي الشهير: كلود ليفي شتراوس، في وحدة النبات والحيوان والانسان، انظر: مقال مؤسس البنيوية وآخر الكبار لفرانسوا دوس، ، مجلة المنار، العدد ٦، السنة الأولى، حزيران ١٩٨٥.

(٨) فندريس، اللغة، تعريب عبدالحميد الدواخلي ومحمد القصّاص، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة ١٩٥٠، ص١٤٨.

(٩) يفرق علم اللغة المعاصر، بين نوعين من القوانين: الكلية والنوعية. وترتبط الدراسة الأولى باللغة، بوصفها ظاهرة «الانسان» وتقع في «حقل علم اللغة العام».

وترتبط الدراسة الثانية باللغة بوصفها ظاهرة قومية: وتقع في حقل علم اللغة الخاص: ويفضل بعض الباحثين خلع مصطلح «اللسانيات» على الدراسة الأولى ومصطلح «الألسنية» على الدراسة الثانية: ومهما تعددت المصطلحات فإنها لا بد أن تصبّ في واحد من هذين الحقلين:

ولقد سعت نظريات البحث اللغوي الحديث عامة، والنظرية التوليدية التحويلية Generative Transformative theory خاصة الى الوصول الى الكليات اللغوية أو إقامة النموذج اللغوي الانساني. لكن «علم اللغة» يظل مرتبطاً بالنوع، بوصفه حقيقته الوحيدة.

(١٠) د. ريمون طحان «الألسنية العربية»، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٧٢: ج ٣ ص١ وانظر أيضاً: د. مالك المطلبي، الزمن واللغة، رسالة دكتوراه ـ مخطوطة كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٤، ص٢٣.

(١١) غير أننا ينبغي أن نشير الى أن بؤرة التحدي في «الكلمات» هي التي قادت الى البحث في «مواجهة» أو بتعبير سايكولوجي الى الاستجابة لهذا التحدي. فهي بهذه تكون «بؤرة التحدي التأريخية»:

فلقد بدأ علماء البحث اللغوي العربي، يصبّون اهتمامهم على نقطة: أثارت قلقاً عقائدياً: هذه النقطة تتمثل بوجود كلمات «غير عربية» في القرآن الكريم. وتعبر الصرخة التي أطلقها الأصوليون عن هذا القلق:

«هل ورد المعرب في القرآن؟»

وهكذا دخلت الإجابة عن هذا السؤال «في عقائدهم وكثرت مناقشاتهم في تحليل «المعرّب وتحريمه» انظر كتاب في التعريب، أحمد بن كمال باشازاده، تحقيق ودراسة د. أحمد الخطاب العمر، ط ١، مطابع جامعة الموصل، الموصل ١٩٨٣ ص٧، ويجدد «الجواليقي» في كتابه «المعرب» مدار الخلاف، في منحيين على النحو الآتي:

الأول: أن ليس في كتاب الله تعالى شيء من غير العربية. وعن أبي عبيدة: من زعم أن في القرآن لساناً سوى العربية، فقد أعظم على الله القول. وآحتج بقوله تعالى: ﴿إنا جعلناه قرآناً عربياً﴾ الزخرف: ٣.

الثاني: إن فيه أحرفاً كثيرة من غير لسان العرب، مثل سجيل، والمشكاة، واليم والطور، وأباريق، واستبرق، وغير ذلك.

ويقدم من نقل عن أصحاب هذا الرأي تعليلاً لوجود المعرّب في كلام العرب: إن هذه الحروف بغير لسان العرب، في الأصل، فقال أولئك القائلون بوجود المعرب في الكتاب الكريم: قالوا على الأصل. ثم لفظت به العرب بألسنتها، فعرّبت. فصار عربياً بتعريبها إياه. فهي عربية في هذه الحال، أعجمية الأصل. انظر كتاب المعرّب، للجواليقي، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة، ١٩٦٩، ص٥٢، ١٥٣.

وعلى هذا بدأ تحدي بؤرة الكلمات، من منطلق العقيدة، ثم تحول، مع تقدم البحث، الى حقله اللغة.

يعرض سيبويه، الكتاب، ج٤، ص٣٠٣ لهذا «المشكل» تحت «باب ما أُعرب من الأعجمية». وهو يميز بين أمرين في هذا الباب:

١) ما ألحقوه ببناء كلامهم.

٢) وما لم يلحقوه.

من أمثلة الأول (درهم) ألحقوه ببناء (جَحْرَع) و(دينار) ألحقوه بـ (دِيماس) و(جورب) ألحقوه بـ (فوعل).

أما الذي لم يلحقوه: فيبدلون مكان الحرف ويغيرون الحركة ويبدّلون مكان الزيادة، ولا يبلغون به بناء كلامهم، لأنه اعجمي الأصل، فلا تبلغ قوته، عندهم الى أن يبلغ بناءهم.

وربما تركوا الاسم على حاله، وإذا كانت حروفه من حروفهم، كان على بنائهم أو لم يكن. نحو (خُرّم) و(الكركم). وهكذا يتضح أن مدار الاستجابة هو في التغيير. أو على نحو آخر: تمثل الوافد. وعلى عبارة العلامة أحمد بن سليمان كمال باشازاده: «التغيير معتبر في حد التعريب» كتاب في التعريب: ص٩.

إن «الاستجابة» أو «التمثل» أو «التغيير» تتجلى في قوانين البنية الصرفيّة أولاً، وقوانين البنية الصوتية ثانياً.

فمن أمثلة التغييرات الصرفية، ما أورده سيبويه من نحو (جورب) ألحق بـ (فَوْعل).

ومن أمثلة التغييرات الصوتية:

إبدال (الزاي) (سيناً) لأنه ليس من كلام العرب (زاي) قبلها (دال). نحو مهندس. وهي من (مهندز).

وإبدال (الواو) (تاء) كما في (تنور) وهي من (وَنور).

وقد تطور البحث في هذه «التغييرات» الى استنباط، ما تمكن تسميته بـ «قواعد تمييز صوتية» بين الكلمات العربية، والكلمة الأعجمية: منها:

١) ليس في كلام العرب (زاي) قبلها (دال).

٢) ولا يجتمع في كلامهم (الجيم) و(القاف) مثل (الجرموق) و(الجوسق).

٣) ولا تجتمع (الجيم) و(الصاد) مثل (الجص) و(الصهريج)... الخ.

وعلى وفق هذا صار «التعريب» وهو «التغيير» معياراً»: (تصويبياً). ومن ذلك ما وجهه صاحب كتاب «في التعريب» من نقد الى «الجوهري» صاحب الصحاح، والفيروزابادي صاحب القاموس، اللذين عدا (البَخْت» وهو (الجدّ) مُعرّباً. قال «ولم يصيبا في القول بالتعريب، لأنه غير مغير، هو من المستعمل على حاله، الذي لم يتصرف فيه أصلاً، المصدر السابق، ص٥٢.

وخلاصة القول إن منطلق استجابة العربية للتحدي كان العقيدة. ثم صار اللغة. لكن بقي محصوراً في نطاق (الكلمات) و(الأبنية)، ثم تقدم الوعي

اللغوي خطوته الحاسمة حين عرض للمتغيرات، داخل بنية التركيب العربي. لكنه توقف في حدود معينة، كما سنعرض لهذا في موضعه إن شاء الله.

(١٢) د. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مطبعة الرسالة، القاهرة ١٩٥٥، ص٢٢٧.

(١٣) المعجم: مادة: شكل.

(١٤) من مخطوطة محاضرات: الاستاذ عبدالحميد الحديدي التي ألقاها على طلبة معهد التدريب الإذاعي في القاهرة عام ١٩٦٩.

(١٥) الدلالة بـ (دون) على نفي، يشير الى انحراف في قوانين المعاني النحوية الوظيفية.

(١٦) انظر معجم علم اللغة النظري: وضع الدكتور محمد علي الخولي، ص ١٦١، ط ١، بيروت ١٩٨٢.

(١٧) معجم مصطلحات علم اللغة الحديث: وضع نخبة من اللغويين العرب ص٦٦.

(١٨) معجم علم اللغة النظري، ص١١.

(١٩) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(٢٠) مجلة آفاق عربية، مقال حوار في النقد المسرحي: قسم الترجمة، ص٧٩. السنة ١١، العدد ١. بغداد ١٩٨٦.

(٢١) المصدر السابق، مقال: صلاح عبدالصبور في رسالة ماجستير ص١٣٢.

(٢٢) الكهف، ١٤.

(٢٣) نظرية لغوية عامة، ترجمة د. عبدالباقي الصافي، مطبعة دار الكتب، البصرة، ١٩٨٣، ص١٣.

(٢٤) معجم علم اللغة النظري، ص١٦٤.

(٢٥) نظرية لغوية عامة، ص١٣.

(٢٦) جريدة الجمهورية، بغداد، العدد ٥٩٩٠، السنة ١٩/١٢/٣١/١٩٨٥. ص ٣.

(٢٧) نظرية لغوية عامة، ص١٠٨. مقال ترجمته: ذكرى الجبوري.

(٢٨) سارتر يثير العاصفة: جريدة الجمهورية، العدد ٥٩٩٠، السنة ١٩، ٣١/١٢/١٩٨٥، ص٧.

(٢٩) نظرية لغوية للترجمة: ص١٧.

(٣٠) عصر البنوية، ترجمة د. جابر عصفور، آفاق عربية، بغداد ١٩٨٥، ص٢٨٢.

(٣١) نتحدث في نقطة العام. أما في نقطة الخاص، فنشير الى المَنْحَيَيْن الوصفي والدلالي، الذي نزعت اليه المباحث اللغوية المبكرة. وفي رأسها كتاب سيبويه (القرن الثاني الهجري) ودلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجاني (القرن السرابع الهجري).

(٣٢) المسألة المشهورة التي وقعت بين إمام أهل البصرة سيبويه، وإمام أهل الكوفة الكسائي: ومدارها القول: قد كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو هي» وكان جواب سيبويه: فإذا هو هي، بالرفع، ولا يجوز النصب، وكان جواب الكسائي جواز الوجهين: العرب ترفع كل ذلك وتنصب: وآحتكم الى العرب ببلب المجلس فوافقوا الكسائي. وقد ذاع صيت هذه المسألة ونظمت فيها الأشعار. نم مثل قول حازم بن محمد القرطاجني:

قد كانت العقرب العوجاء أحسبها قِدْماً أشدَّ من الزنبور وَقْعَ حما

وانظر في تفصيلها: مغني اللبيب لابن هشام، تحقيق محيي الدين عبدالحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت. ج١ ص٨٨.

(٣٣) نستأنس هنا برأي العالم النحوي:

نعوم جومسكي

صاحب النظرية التوليدية التحويلية في اللغة.

انظر: النحو العربي والدرس الحديث، د. عبده الراجحي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧٩م.

وانظر: نظرية النحو العربي في ضوء مناهج البحث اللغوي الحديث: الدكتور نهاد الموسى. المؤسسة العربية للدراسات والنشر: ط ١ بيروت ١٩٨٠.

(٣٤) د. إبراهيم السامرائي: العربية تواجه العصر، منشورات دار الجاحظ، الموسوعة الصغيرة، بغداد ١٩٨٢، ص٤٦.

غير أن د. ابراهيم السامرائي هنا لا يتوقف عند هذه المعضلة بل إن بحثه يتوزع خلال اضطراب منهجي بين نظام النحو وأنظمة المجاز، بين المفردات والتراكيب والأساليب. وهذه بُؤَرٌ مختلفة، لا ينبغي الخلط بينها.

(٣٥) د. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص١٢٦.

(٣٦) كما عليه دفاع أستاذنا المرحوم عباس محمود العقاد عن اللغة العربية، ونظامها الزمني، في معرض مناقشته كان المستشرقين الذين نسبوا إلى العربية نقصاً في تعبير صيغها عن الزمن. وحين كان المستشرقين يشنون غاراتهم على وفق منهج محدد، كان العقاد، بدوافع الحرص والحب، يرد على آمر اخترعه هو، آمر ذي علاقة بالمفردات العربية، التي تتصل مادتها بالزمن، أو ذي علاقة بالزمن بوصفه موضوعاً من موضوعات الوجود. يقول «إن الزمن الماضي مهمٌ عند أبناء البادية العربية في كل عهد من عهوده، لأنه مستودع المفاخر والأنساب والثارات، والسوابق والذكريات».

(أنظر مجلة مجمع اللغة العربية، مقال الزمن في اللغة العربية، ج١٤ ص٣٨).

فحين كان الاستاذ العقاد يعرض لزمن ذي سمات معجمية وأدبية كان المستشرقون يعرضون للزمن بوصفه فصيلة نحوية.

(٣٧) د. عبدالسلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية.

(٣٨) جي. س كاتفورد. نظرية لغوية للترجمة: ترجمة د. عبدالباقي الصافي: ص٥.

(٣٩) المصدر السابق، ص٨ ويمكن أن نلاحظ آثار الغزو في لغة المترجم كما سنعرض لاحقاً.

(٤٠) اخطر دعوتين على ما أرى: كانتا على يد سلامة موسى، مصر. وسعيد عقل، لبنان.

(٤١) ليس هذا مقاماً؛ نقلل فيه من شأن ما قدمه الأساتذة المترجمون، في حقول نقل المعرفة. وأنوه، على نحو خاص، بالاستاذ جبرا ابراهيم جبرا؛ وهو علم من أعلام الثقافة العربية المعاصرة، بل هو أمر يتصل بمنهج هذا البحث، الذي يستمد مقومه، من أمثلته اللغوية في كتب الترجمة.

(٤٢) تأليف جي. سي كاتفورد، ترجمة د. عبدالباقي الصافي، استاذ مساعد، رئيس قسم اللغة الانكليزية ـ كلية التربية، جامعة البصرة، مطبعة دار الكتب، جامعة البصرة، البصرة: ١٩٨٣.

(٤٣) تأليف خمسة عشر ناقداً «ترجمة جبرا ابراهيم جبرا» منشورات وزارة الاعلام، سلسلة الكتب المترجمة، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٣.

(٤٤) قصص من سارويان: ترجمة محمد صالح شريف، منشورات وزارة الاعلام، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٧.

(٤٥) الكتاب، ج٢ ص١٤.

(٤٦) البقرة: ٢٣٤.

(٤٧) مختار الصحاح: مادة وسط، ص٧٢.

(٤٨) النور ٢.

(٤٩) معاني القرآن، تحقيق محمد علي النجار، الدار العربية للتأليف والترجمة، مطبعة سجل العرب، القاهرة ١٩٦٦. ج٢، ص٢٤٤.

(٥٠) د. مالك المطلبي، في التركيب اللغوي للشعر العراقي المعاصر، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، سلسلة دراسات، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨١، ص١١٨.

(٥١) د. تمام حسان اللغة العربية معناها ومبناها ص ١١٠.

(٥٢) المصدر السابق، ص١٩٤.

(٥٣) د. مالك المطلبي، الزمن واللغة، رسالة دكتوراه مخطوطة كلية الآداب، بغداد، ١٩٨٤ ص٣١٢.

(٥٤) مختار الصحاح: مادة ص، غ، ا، ص٣٦٤.

(٥٥) د. مالك المطلبي، الزمن واللغة، ص٣١٥.

(٥٦) همع الهوامع للسيوطي، عني بتصميمه محمد بدر الدين النعساني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د. ت. ج١ ص٢١١.